الأعمال الآثارية في إقليم الشرق الثقافي:
من خلال دراسات وأبحاث جامعة الخرطوم

د. أحمد حسين عبد الرحمن آدم
أستاذ مشارك. قسم الآثار. جامعة الخرطوم

المستخلص

تعد منطقة البحر الأحمر السودانية وشرق السودان من المناطق ذات الأهمية الأثرية الكبيرة، وقد جاءت هذه الأعمال ضمن مشروع البحث الأثري والتراثي والبيئي لمنطقة البحر الأحمر وشرق السودان، كما شملت منطقة المشروع بعض مكونات جزيرة سواكن التي تعد من أهم الموانئ الإسلامية في شرق السودان، وكذلك منطقة ساحل البحر الأحمر وسلسلة جباله حتى أعالي نهر النيل ومنطقة كسلا، وهي مناطق ذات أهمية تاريخية وثقافية خاصة. وكانت نتائج العمل الميداني خلال هذه المواسم واعدة ومثيرة للاهتمام، حيث أظهرت المواقع المكتشفة ثراء المنطقة بالمواقع الأثرية التي تعود إلى فترات مختلفة. كما تضمنت نتائج الدراسة أيضًا الموانئ القديمة ومواقع الدفن والقطع الأثرية التي توفر رؤى حول الأنشطة الاقتصادية والدينية والاجتماعية لسكان المنطقة. وتؤكد هذه الاكتشافات على أهمية ساحل البحر الأحمر السوداني وشرق السودان بوصفه مركزا للتواصل والتبادل الثقافي، مما يساهم في فهم أوسع للتراث الأثري للمنطقة.

الكلمات المفتاحية: البحر الأحمر، سواكن، ميناء عقيق، شرق السودان، البجة، عيذاب

Abstract

The Sudanese Red Sea area and eastern Sudan are regions of significant archaeological importance these works came within the project of archaeological, heritage, and environmental research for the Red Sea region and Eastern Sudan, The project area also included some components of Suakin Island, which is considered one of the most important Islamic ports in Eastern Sudan, as well as the Red Sea coast region and its mountain range, up to the upper Nile River and the Kassala region, which are regions of special historical and cultural importance. The results of the fieldwork during these seasons were promising and interesting, as the sites discovered demonstrate the region's richness in archaeological sites dating back to different periods. The results of the study also findings include ancient ports, burial sites, and artifacts that provide insights into the economic, religious, and social activities of the region's inhabitants. These discoveries underscore the importance of the Sudanese Red Sea coast and eastern Sudan as hubs of connectivity and cultural exchange, contributing to a broader understanding of the region's archaeological heritage.

Keywords: Red Sea, Suakin, Aqiq Port, Eastern Sudan, Beja, Aydhab

تمهيد

تُعد منطقة شرق السودان وساحل البحر الأحمر السوداني من المناطق ذات الأهمية الأثرية والتاريخية الكبيرة، حيث تزخر بتاريخ طويل يعكس التفاعل الحضاري والتجاري بين إفريقيا والعالم الخارجي. لقد لعبت هذه المنطقة دورًا محوريًا باعتبارها جسرا للتواصل بين شبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا عبر البحر الأحمر، مما جعلها مركزًا للتبادل الثقافي والتجاري منذ العصور القديمة. وقد لعب إقليم شرق السودان دوراً أساسياً في عملية انتشار الحيوانات والنباتات المستأنسة في الألفية الرابعة قبل الميلاد لكونه يمثل حلقة الوصل التي ربطت بين وادي النيل والمرتفعات الإثيوبية والإريترية، كما أن توفر المحاصيل المستأنسة القادمة من الشرق الأدنى عبر وادي النيل قد يكون له أيضاً تأثير مباشر في استراتيجيات استغلال الأنواع النباتية المحلية مثل الذرة، والتي أظهرت في نهاية المطاف تكيفاً وملائمة للظروف البيئية المحلية أكثر من محاصيل الشرق الأدنى. لا شك أن هناك نقطة لبداية العمليات التي أدت إلى ظهور الذرة المدجنة في أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد، وهو دليل أثري يوضح أن أول ظهور للذرة في العالم كان في منطقة شرق السودان (Manzo 2017, 32).

تكشف الدراسات الأثرية في هذه المنطقة عن وجود مواقع أثرية غنية تتنوع بين الموانئ القديمة، والمدافن، والمستوطنات التي تحمل آثارا تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وعصور الممالك السودانية القديمة مثل مملكة كوش، والعصور الإسلامية. كما تسلط الاكتشافات الضوء على الأنشطة الاقتصادية التي كانت سائدة، مثل التجارة البحرية، وصيد الأسماك، والزراعة، إلى جانب التأثيرات الثقافية والدينية التي مرت على المنطقة. إن دراسة الآثار والتاريخ في شرق السودان وساحل البحر الأحمر تسهم في فهم أعمق للتطورات الحضارية في المنطقة، وتعزز إدراكنا لدور هذه المنطقة بوصفها مركزا رئيسيا للتواصل الإقليمي والدولي عبر العصور.

إن منطقة شرق السودان هي المكان الفعلي الذي تسكنه كل قبائل البجا في السودان فضلاً عن أن لها فروعاً من قبائلها في إرتريا وذلك لوجود علاقات قديمة بين المنطقتين ذات سمات جغرافية وتاريخية. إن شرق السودان هو الإقليم الذي يمتد موازياً للبحر الأحمر من بئر شلاتين شمالاً وحتى الحدود الإرترية جنوباً ومن البحر الأحمر شرقاً حتى نهر عطبرة (أتبره) غربا وتتخلل جبال البحر الأحمر الوديان والخيران حيث يكون الطقس وكمية مياه الأمطار ملائمين لزراعة الذرة والدخن.

السمات الجيولوجية والبيئية والطبوغر افية لإقليم شرق السودان:

تميز الإقليم بالعديد من الخصائص الطبوغرافية التي ميزته عن غيره من الأقاليم الأخرى. ونجد أن

الظواهر الطبيعية والمناخ تشكل وحدة تضاريسية متميزة من حيث الشكل والصفات الوعرة التي فرضتها طبيعة إقليم الشرق المتمثلة في البحر الأحمر وتلاله، والتي تمثلت في امتدادها العام بمحاذاة خط ساحل للبحر الأحمر الحافة الأساسية للأخدود الأفريقي العظيم مما أكسبها تفاصيل وملامح خاصة (الشامي، 1973م، 43).وقد سمي البحر الأحمر بعدة مسميات وفقاً لموقعه من السواحل أو المدن التي تطل عليه فسمي مرة ببحر القلزم نسبة لمدينة القلزم الواقعة عند نهاية خليجه الغربي ومرة أخرى ببحر ايلة، كما عرف أيضاً بالبحر الحجازي وسمي مرة ببحر النعام ومرة أخرى ببحر عيذاب وسماه ابن جبير بالبحر الفرعوني، وابن رسته ببحر جدة عن ساحل مكة، بينما سماه الهمذاني ببحر الحجاز عند ساحل المدينة وبحر اليمن عند سواحل اليمن وسمي بالبحر الأحمر اختصاراً لاسمه القديم بحر الملك الأحمر Erythraean، ثم اختصر الاسم إلى البحر الأحمر، فالبحر الأحمر يمتد بشكل طبيعي نحو خليج عدن والمحيط الهندي، وينشط في اتجاه الجزيرة العربية والقرن الأفريقي، والجزء الشمالي الشرقي للقارة الأفريقية، لذلك يمثل البحر الأحمر وخليج عدن في مركزيهما أخدوداً عميقاً، وقد أسهما بوصفهما مسطحات للنقل أكثر من كونهما عوائق في تحقيق الاندماج بين الجزيرة العربية وبلاد النوبة والصومال (داجنت، 2013م، 15).

تنحصر التركيبة الطبيعية لمنطقة البحر الأحمر في البحر نفسه وتلاله والسهول الساحلية بالإضافة إلى المنحدرات الغربية لتلال البحر الأحمر كما نلاحظ أن هذه الوحدات تتدرج من الارتفاع إلى الانخفاض ثم المنحدرات (خوجلي، 2010م، 25)، والتي تغطي مساحات واسعة من الرواسب الغرينية ورواسب الخيران والدلتا، ومثال لتلك المنحدرات في الإقليم الشرقي المجاري الموسمية، بالرغم من عدم وصولها للنيل إلا أنها تسهم بشكل فعال في تكوين مساحات مغطاة بالطمي الذي ترسبه كل عام في شكل دلتا واسعة ومن بينها خور القاش وخور بركة والأخير يتجمع عند مرتفعات الحبشة، ويتكون في إريتريا من رافدين هما بركة وعصبة ويتصل به بعد دخوله السودان بخور لانجب الذي يأتي من المرتفعات الواقعة شمال دلتا القاش من الأمطار بينما يوزع خور بركة مياهه على سهل طوكر، يعد نهر القاش وبركة من الخيران المهمة التي تحمل الطمي في السودان حيث يغرق نهر القاش الدلتا في منطقة كسلا أثناء موسم هطول الأمطار، ويروي خور بركة منطقة طوكر الزراعية التي لا تقل عن نصف مليون فدان، وإذا كان موسم الخريف ناجحاً قد تصل مساحة الأراضي المروية إلى أكثر من ذلك، كما أنها مقسمة إلى أحواض عديدة (Fleming1920,13).

ومن المؤكد أن الظروف البيئية للمنطقة خضعت لعدة تغيرات عبر العصور المختلفة في جزء من الهولوسين، ففي بداية الألف السادسة قبل الميلاد كان مناخ المنطقة مشابها للظروف الرطبة لشمال أفريقيا. وفي منتصف الهولوسين بدأ تذبذب المناخ ليتحول لمزيد من الجفاف، ليصبح الجفاف أكثر وضوحافي منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد (Manzo 2017,11).

ومن الملاحظ التباين الكبير في المناخ بين إقليم شرق السودان وبقية أنحاء السودان، فنجد أن الرياح الشمالية الشرقية هي المسؤولة عن تهاطل الأمطار في إقليم شرق السودان خلال شهر يناير، أي أن المنطقة تتمتع بأمطار شتوية، خلافا لكل مناطق السودان الأخرى التي تشهد هطول الأمطار في فصل الصيف. كما تميز الإقليم الشرقي بموقعه الجغرافي المثالي رابطا بين الشرق والغرب وبين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي، وفيه يأخذ حوض البحر الأحمر شكلا مستطيلا يضيق كلما اتجهنا شمالاً وجنوباً، ويمتد على جانبه الغربي نهر النيل وروافده، بالإضافة إلى العديد من الأنهار والخيران (Zahran 2010,104).

التاريخ السياسي والثقافات المبكرة لمنطقة الدراسة:

إن موقع الإقليم الشرقي أكسبه أهمية تاريخية تمثلت في علاقاته بالأقاليم المجاورة، ونظراً لأنه إقليم حدودي فامتدت علاقته أيضاً خارج حدود الدولة السودانية؛ فكان له دور فاعل في التجارة والحرب...الخ. كان البحر الأحمر من بين المناطق الأولى ذات الأهمية في الشرق الأوسط والتي تمت دراستها في وقت مبكر، فقد اكتشفها الأوربيون منذ عام 1766 من قبل العالم الجغرافي ورسام الخرائط الفرنسي جان بابتيست بورغينيون Jean Baptiste Bourguignon وبعد ذلك بوقت قصير نشرت الحملة الملكية الدنماركية إلى شبه الجزيرة العربية أول تقرير مفصل عن الحجاز واليمن، بالإضافة إلى عمل الكاتب والرحالة الاسكتلندي جميس بروس James Bruce وروايته عن رحلاته في أثيوبيا والنوبة والتي يمكن اعتبارها بداية الدراسة التاريخية والأثرية لمنطقة البحر الأحمر (Adam 2018, 189). فقد أشار الرحالة والمؤرخين إلى سكان ذلك الإقليم في كتاباتهم ولأزمان طويلة ساد الاعتقاد بأن بلاد بونت تقع في منطقة القرن الأفريقي. حالياً فإن غالبية الباحثين يطرحون رأياً مغايراً يرى أن موقع بلاد بونت في الساحل السوداني من البحر الأحمر. بالتالي، يرون بأن بلاد بونت شملت المناطق الساحلية حتى الحدود الشمالية لأريتريا والأرض الداخلية المجاورة للساحل تذكر النقوش المسيحية للملك عيزانا غزو النوبة للمنطقة إلى الشرق من نهر سيتيت، وهذا بدوره يؤكد ما ذهب إليه فاتوفيتش Fattovich إلى أن السكان القاطنين ما بين نهري التكازي وبركة كانوا تابعين للسيطرة الاكسومية (Fattovich1987,56). نجد أن كلا من زهلارزZyhlarz وزيبليوسZibelius طرحا رأياً بأن بلاد "جرس" المذكورة في قائمة البلدان لتحتمس الثالث تتطابق مع المنطقة الواقعة بين كسلا وقوز رجب. ويرى جارستانج Garstang أن "تسني" المسجلة في قوائم الأعداء على جدران معبد "إله الشمس" في مروي، تتطابق مع تسنيّ الأريتيرية الواقعة على القاش على بعد حوالي 40 كم إلى الجنوب من كسلا(النور، 2004م، 4). بالإضافة إلى ذلك كان الاقليم حاضراً دوماً في كتابات الحضارات القديمة، فقد ورد ذكر البجا في أكثر من موضع. كما عرف الفراعنة البجا منذ أقدم العصور وأطلقوا عليهم لفظ البليميين واشتهروا في كتابات الفراعنة بالبقة وأطلقوا عليهم ميجا وتعني بالفرعونية المحارب واتصل الفراعنة بالبجا تجارياً (حسن، 2011م، 9)، وكانت العلاقات بين الطرفين متوترة فكلما قويت شوكة البجا ثاروا ضد الفراعنة

وأغاروا على مدنهم. كما ورد ذكر البجا أيضا في نقش أكسومي يرجع للقرن الرابع الميلادي باسم بوجاتياي Bugaitae أيضاً شملهم اللفظ العرقي أثيوبيا وتعنى ذوو الوجوه المحروقة في بعض العهود (مسعد، 1959م، 4، ضرار،1965م،11). وفي نقش حتشبسوت ورد اسم قبيلتي نمي وإرم ضمن القبائل في بلاد بونت، ونمي هي آمو وهي المكان الذي يجلب منه الذهب...وقبيلة إرم كانت تقطن في الاتجاه الشرقي من النيل عند ملتقى نهر عطبرة والنيل (O'Connor 1984, 11). كان المصريون القدماء أول من اهتم بالبحر الأحمر وجعلوا منه وسيلة للأسفار البعيدة وطريقاً للمواصلات بقصد التجارة ويذكر أن ساحورع وهو أحد ملوك الأسرة الخامسة قد أنشأ مواصلات بحرية مع بلاد الصومال رأساً وجلب منها الذهب والفضة (سبي، د.ت، 8).

تشير دراسة البضائع الغريبة التي تم العثور عليها في محل تيجلينوس إلى أن أهل مجموعة القاش كانوا قد دخلوا في صلات مع مصر والنوبة وجنوب شبه الجزيرة العربية منذ أزمان طور مجموعة القاش المبكر (2700- 2300 ق.م)، كما وأنهم أقاموا صلات تجارية مع كرمة الواقعة إلى الشمال من البطانة، وجنوب شبه الجزيرة العربية في طوري مجموعة القاش الوسطى 2300-1900ق.م، والكلاسيكية 1900-1700ق.م واستمرت تلك الصلات مع كرمة والجزيرة وإثيوبيا وجنوب شبه الجزيرة العربية حتى طور مجموعة القاش المتأخرة (1700- 1400 ق.م). بالإضافة إلى ما سبق ذكره ومن منظور التفسير المبدئي للنتائج المتحصل عليها من الأبحاث الأثرية الحديثة في شرق السودان فإن عملية تشكل المجتمع المعقد في شرق السودان، يبدو في صورته العامة كالتالي: نشوء مجتمع تراتبي اعتمد على شبكة التبادل التجاري مع مصر والنوبة وجنوب شبه الجزيرة العربية في طور مجموعة القاش المبكر. وأصبح أهل مجموعة القاش وسطاء بين كرمة وجنوب شبه الجزيرة العربية في طوري مجموعة القاش الوسطى والكلاسيكية. وتدل المسلات الرسمية التي تم الكشف عنها في محل تيجلينوس على أن بعض قطاعات السكان تمتعوا بامتيازات فيما يتعلق بالموارد الإستراتيجية، وهو ما ساعد على بروز قيادة قوية. ثبتت دعائم سلطات إدارية فاعلة بحلول طور مجموعة القاش المتأخر ارتبط ذلك بتوسيع شبكة التبادل مع مصر والنوبة والجزيرة وجنوب شبه الجزيرة العربية وإثيوبيا. (النور،2004م، 3).

إقليم شرق السودان في المصادر التاريخية:

كتب الرحالة والجغرافيون العرب وصفاً لمناطق شرق السودان مثل ابن حوقل وابن سليم الأسواني والمقريزي والدمشقي وغيرهم، حيث وصف بعضهم أراضيها وشعوبها وممالكها حيث أشاروا إلى أن ثلاثا من الممالك كانت تقع ضمن الحدود الأريتيرية الحالية، والاثنتان داخل الحدود السودانية. والثلاث هي مملكة بقلين، ومملكة جارين ومملكة قطاع. أما المملكتان الأخيرتان، وهما مملكة ناقص وبازين فكانتا خلف أسوان

جنوباً (سبي، 1974م، 77، مسعد،1972م،118، 154، 159).

الأعمال والدراسات السابقة بالإقليم:

زار موقع محل تجلينوس بشرق السودان عدد من المقيمين البريطانيين وهواة علم الآثار، كما تمت زيارته أيضاً من قبل بعض علماء الآثار أمثال كيروان Kirwan، ساندیسون ویلکم,Sandison Welcome، كما هو مذكور وموضح في سجل المتحف الوطني السوداني، وملفات محفوظات المؤسسة الوطنية للآثار(Manzo 2017, 4). إلا أننا نجد أن التنقيب الأثري الممنهج لشرق السودان حديث العهد. فمن وجهة نظر آثارية يعد شرق السودان غير مستكشف عملياً حتى العام 1967م، وهي السنة التي قام فيها الفريق الأمريكي بقيادة جويل شاينر وآخرون بإجراء مسوحات آثارية بالقرب من منطقة خشم القربة في وادي نهر عطبرة الأوسط، وتوصلت نتائج أعمالهم إلى أن المنطقة ولأزمان طويلة خلت عبارة عن أرض موحشة يقطنها بدو لم يسهموا بقدر ملحوظ في التاريخ القديم لكوش ووادي النيل عموماً. أما قبل هذا التاريخ فليس من مسوحات آثارية متكاملة يمكن أن تكشف لنا عن الجوانب الثقافية والحضارية لإنسان المنطقة عبر الأزمنة السحيقة.

وفي العام 1917م جمع كروفوت Crowfoot بعض المواد السطحية من "محل داقلانوس"، المعروف حاليًا باسم محل تيجلينوس، والتي عدها من مخلفات أكسوم (Crowfoot 1928, 116). ومن أهم الأعمال دراسات هنكل في شرق السودان والتي قام من خلالها بوضع خريطة السودان الجغرافية (Hinkel 1992, 11) ومنذ عام 1981م بدأ مشروع استكشاف مصحوب بعمليات تنقيب في شرق السودان، من قبل البعثة المشتركة لجامعتي الخرطوم وجامعة ميثودست في تكساس، وبعثة المعهد الجامعي للدراسات الشرقية لجامعة نابولي في المنطقة حول مدينة كسلا. وقد ركز المشروع على دراسة العلاقات بين شرق السودان ووادي النيل في مرحلة "العصر الحجري الحديث"، أيضاً تم تسجيل بعض البقايا الآثارية التي تشير إلى بداية الحقبة الإسلامية في المنطقة، في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

أما أول برنامج كبير للتنقيب الأثري المنهجي لشرق السودان بدأ في العام 1980م، وكان يهدف للتحقيق في بداية العلاقات بين وادي النيل والمرتفعات الإثيوبية والإريترية في العصور القديمة، وقد قامت به جامعة نابولي. وتوصلت النتائج المبدئية لأعمال البعثتين إلى وجود تواتر ثقافي يغطي مجمل الفترة من الألفية العاشرة قبل الميلاد وحتى القرن الثامن الميلادي. وقد دلت المسلات التي تم العثور عليها في محل تيجلينوس على أن بعض الفئات السكانية قد تمتعت بامتيازات دون غيرها من المجموعات خاصةً فيما يتعلق بالموارد الإستراتيجية، وهذا بدوره ساعد في بروز قيادة قوية وتثبيت دعائم سلطات إدارية فاعلة، ارتبطت بتوسيع شبكة التبادل مع مصر والنوبة وجنوب شبه الجزيرة العربية وإثيوبيا (Manzo 2017, 5).

كذلك كانت هناك أعمال من ضمن مشروع البحث الأثري في شرق السودان في عام 1980م بواسطة جامعة أورينتيال الإيطالية بقيادة فاتوفتيتش Fattovich شمل العمل الأثري المناطق حول دلتا القاش والسهول المجاورة لجبل قولسا الذي يقع على الحدود الإثيوبية وحتى منطقة أريبا وبعض المناطق التي تقع في الاتجاه الجنوبي لكسلا. وقد انتهت نتائج البحث الأثري إلى وجود تواتر ثقافي يغطي مجمل الفترة من الألفية العاشرة قبل الميلاد وحتى القرن الثامن الميلادي، ليس فقط من النواحي الثقافية والثقافة المادية، بل شملت الخيارات الاقتصادية وخصائص الإقامة والاستقرار والديموغرافيا (Fattovich1989, 20-23).

كذلك الدراسات التي قام بها اندريا مانزو وهي واحدة من أهم الدراسات الآثارية التي تمت في منطقة الشرق على الإطلاق، إذ تميزت بالشمول والموضوعية، في الوقت الذي تضمنت أهم نتائج المسوحات والحفريات السابقة لها. وخلص إلى كثير من النتائج أهمها: إدراج إقليم شرق السودان ضمن الخارطة الآثارية السودانية منذ أقدم العصور وبتسلسل مدعم بالأدلة الآثارية، بل أثبت أن إقليم شرق السودان كان حلقة الوصل التي ربطت بين مختلف الثقافات.

كما قام كريم صدر بدراسة عام 1991م عن تطور البداوة، تناول فيها تاريخ المجتمعات الرعوية بمنطقة البطانة وشرق السودان حيث عثر على مجموعة رعوية قديمة تسكن في منطقة الدلتا أطلق عليها اسم مجموعة القاش. بالإضافة إلى دراسة أنماط الاستيطان في فترة عصور ما قبل التاريخ جنوب عتباي وشرق ووسط السودان (Sadr 1988, 18). ومن بين أهم الأعمال دراسات قرين لو في مدينة سواكن (Greenlaw 1995, 13) التي تظهر أهمية المنطقة وثرائها منذ العصور القديمة، فقد كان هناك نشاط في موانئ البحر الأحمر منذ فجر التاريخ، حيث وردت الإشارة إلى سواكن وعيداب وباضع منذ عصر الدولة المصرية القديمة.

وفيما بعد ورد ذكر المنطقة في عصر الدولة المصرية الحديثة، حيث أشارت الملكة حتشبسوت إلى أنها أرسلت حملة إلى "بلاد بونت"، أي الساحل الجنوبي المصري للبحر الأحمر؛ ويؤكد بعض علماء المصريات أن ذلك كان في السودان. وقد أشار المؤرخ الروماني بليني الأكبر أن بطليموس الثاني والثالث أنشأوا محطات تجارية على الساحل السوداني، والتي إلى جانب دورها التجاري استوردت الحيوانات من أفريقيا لملوك البطالمة، ولكن الدور التاريخي لهذه الموانئ تطور على أيدي التجار العرب قبل الإسلام وبعده. كما كانت هناك العديد من أوجه التشابه بين المواد الأثرية التي تم الكشف عنها في عيذاب وباضع بتلك التي توجد في كثير من أنحاء الجزيرة العربية. الشيء الذي يؤكد وجود صلات وروابط تاريخية عميقة بين السودان خاصة مناطق ساحل البحر الأحمر وأنحاء عديدة من الجزيرة العربية في مختلف العصور. (Greenlaw 1995, 14, 23)

أعمال الباحثين السودانيين:

تشمل الدراسات الأثرية في حدود الإقليم مثل دراسة عباس سيد أحمد عام م1980 والتي كانت ضمن بعثة سودانية – أمريكية مشتركة عن ظهور واضمحلال القرى الزراعية في سهل البطانة (حول مدينة خشم القربة بشرق السودان) (سيد أحمد، 1980م، 65، 67). كذلك دراسة الأنور عبد الماجد عن مدافن منطقة أركويت والتي أرجعها إلى القرن العاشر الميلادي (AL Anwar. 1995)، كذلك دراسة اثنوارکيولوجية لـ (أبو عبيدة الماحي) في عام 2010م تناول فيها نماذج لبعض عادات البجا وتقاليدهم عن طريق مقارنة العادات والتقاليد المحلية الحالية مع مثيلاتها في الدولة الكوشية (الماحي، 2010م، 71-87). أيضا نظمت الهيئة العامة للآثار والمتاحف أعمالاً إنقاذية في منطقة كسلا في الفترة من 2010م-2013م في نطاق بحيرة السد (سدي نهر عطبرة سيتيت)، وقد أسفرت نتائج المسوحات الإنقاذية عن اكتشاف نحو 137 موقعا أثريا يعود معظمها لفترات ما قبل التاريخ (تقرير الهيئة القومية للآثار، 2010م، 1-19).

الأعمال الآثارية الحديثة لجامعة الخرطوم في شرق السودان:

فكرة المشروع:

يمثل مشـــروع البحر الأحمر نقطة مهمة في تاريخ العمل الآثاري والثقافي في الســـودان حيث تنبع الأهمية من خلال أهداف المشروع وأغراضه وما يُمليه الإحساس المُلح بالمسؤولية الأخلاقية والأكاديمية تجاه الآثار السودانية بشكل عام، والنهوض بالدراسات الآثارية الميدانية بصورة خاصة بأساليب حديثة تتناسب وروح العصر ولتحقق أهدافا أكثر استراتيجية في خدمة التاريخ الثقافي للسودان المعاصر الذي ما يزال أرضاً بكرا تحتاج للكثير من المشـــاريع الآثارية الجادة التي تنطلق من رؤى شـــاملة تعنى بالمســـاهمة الإيجابية في قضايا التركيب الثقافي، وفي وضع اللبنات الضرورية للمشاريع الوطنية السياحية.

وفق هذا المنظور يمثل مشروع البحر الأحمر بوابة السودان الشرقية لتسليط الضوء على منطقة جغرافية ذات أهمية تاريخية وآثارية وثقافية من خلال موقعها الجغرافي الساحلي الذي يجعل منها بوابة طبيعية لحدود السودان ربما ساهمت ولفترات طويلة في صياغة التطورات التاريخية والثقافية والاجتماعية لسودان وادي النيل من الناحية التاريخية، ولاحتوائها على بنية من المواقع الآثارية ذات الأهمية في تاريخ السودان بالعصر الوسيط وربما فترات أخرى أبْكر من ذلك ولاحتوائها على موروث ثقافي غني يشمل في داخله تعددا اثنيا ولغويا وثقافيا يهيئ المنطقة لأن تحظى بشرف احتضان عمل آثاري شامل يستصحب في أساليبه الاستعانة بعدد من العلوم الإنسانية الضرورية إلى جانب علم الآثار في إدارة المصادر الثقافية مثل الاثنوغرافيا والفلكلور واللغات القديمة والأنثروبولوجيا الفيزيائية فضلاً عن العلوم المساعدة كالجيولوجيا

والمورفولوجيا والجغرافيا والبيئات القديمة والبيطرة والطب وعلم النبات والحيوان وعلم الحاسوب. إذن هذا المشروع هو عبارة عن دراسة آثارية شاملة تسعى لتنمية آثار الشرق من خلال الاستكشاف، المسح، التنقيب، ومن ثم الصيانة والترميم بغرض استدامة التراث المادي وغير المادي واستمراريته ولاستنهاضه لخدمة أغراض وطنية سياحية ذات فائدة بجعله جاذباً ومهيأً للعب هذا الدور.

الموقع والأهمية:

تتكون منطقة المشروع من بعض مكونات جزيرة سواكن التي تعد أحد أهم الموانئ الإسلامية في شرق السودان وكذلك منطقة ساحل البحر الأحمر والسلسلة الجبلية به وحتى أعالي نهر النيل ومنطقة كسلا وهي مناطق ذات أهمية (تاريخية وثقافية خاصة، فالموقع الساحلي المطل على البحر الأحمر قد كان بمثابة بوابة طبيعية للسودان ربما منذ فترات التاريخ القديم غير أن المؤكد هو أهمية الموقع من الناحيتين التاريخية والثقافية بالفترة الوسيطة وما بعد الوسيطة سيما مع حركة انتشار الإسلام على سواحل شرق إفريقيا والسودان الشرقي الذي يشمل في حدوده سودان وادي النيل الذي تقع المنطقة ضمن حدوده السياسية والجغرافية. وكذلك امتدادها حول البحر الأحمر جنوباً إلى منطقة عقيق والجزر ما حولها، وغربا حول الأودية والسلاسل الجبلية للبحر الأحمر ومنطقة أعالي نهر النيل في مناطق خور نبت، وبامتداد حول سواكن وغربا حتى حدود منطقة كسلا الشمالية والغربية، بين الخطوط:

من الشمال: ° 39 °01.31.14 N. 21°05.18.51 E.

ومن الجنوب: ° °41.36.2237 N. 19°60.15.20 E.

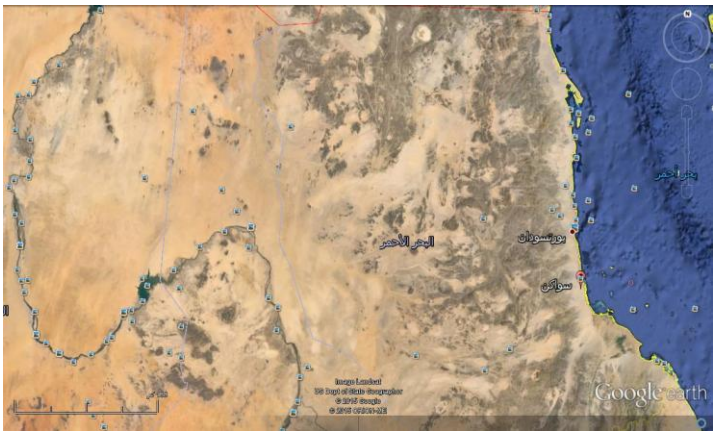

لوحة رقم (1)صورة عامة لمنطقة الدراسة

خريطة رقم (1) عامة لجزيرة سواكن وما حولها

مبررات قيام المشروع:

المبررات التي حفّزت لاقتراح المشروع هو الغني الذي تشهده المنطقة من الناحية الآثارية والتاريخية والجغرافية بمختلف فترات التاريخ الثقافي سواء أكان ذلك بفترات ما قبل التاريخ أو العصور التاريخية الأمر الذي استدعى التحرك العلمي والعملي الجاد لإدارة المصادر الثقافية التي تحويها المنطقة توطئة لجعلها مركزا سياحيا مساهما في حركة النشاط السياحي المحلي والإقليمي والعالمي مع العلم بأنها تصلح أن تلعب هذا الدور من خلال المعطيات الميدانية الأولية المتوافرة بها. وقد وضح بالفعل غنى المنطقة آثاريا وثقافيا من خلال المواسم التي تم إنجازها خلال العامين الماضيين.

أهداف المشروع:

هدف المشروع إلى:

1/ أبحاث الآثار عن طريق المسح والتنقيب بواسطة الوسائل المختلفة ثم الوصول إلى دراسة التتابع والاستمرارية الثقافية البشرية والعمرانية لمنطقة الدراسة عبر الحقب التاريخية المختلفة. وكذلك دراسة الالتقاء، أو التداخل، أو التكامل أو الانصهار الثقافي والبشري مع الثقافات الوافدة لمنطقة الدراسة عبر الحقب التاريخية المختلفة. بالإضافة إلى معرفة التركيب الثقافي لمناطق البحر الأحمر التي لم تتم دراستها من قبل وذلك من خلال فريق عمل متكامل يشمل علماء ومتخصصين في المجالات ذات الصلة كافة.

2/ معرفة البيئة القديمة من خلال الدراسات العلمية المختلفة ثم التعرف على علاقة البحر الأحمر وجزيرة سواكن بالمناطق المجاورة في وسط السودان والدول المجاورة في حول المنطقة مثل جدة بالمملكة العربية السعودية وجيبوتي واليمن الخ من حيث الاتصال الثقافي والطبيعي والأحيائي ومقارنتها بمناطق شرق السودان حول البحر الأحمر ومنطقة كسلا وأعالي نهر النيل. بجانب دراسة العوامل البيئية والتاريخية المعلومة التي دفعت إلى التطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والعمراني لمنطقة الدراسة.

3/ توثيق التراث الشعبي بالمنطقة التي انتجت المجموعات القاطنة بالمنطقة تراثاً فريداً حيث يمكن القيام بدراسة التحولات الإثنية والاقتصادية في منطقة الدراسة عبر الحقب التاريخية المختلفة وذلك في مختلف المجالات مثل الجمع الشفوي (الشفاهي) والطب الشعبي والفولكلور والأدب الشعبي، وأسماء الأماكن، ودلالاتها الثقافية والحضارية.

4/ ربط كل المعلومات من المشاريع الأخرى المحلية وحتى يتم تحقيق هذه الأهداف بإجراء دراسات ميدانية مكثفة لكل المواقع والمواد الأثرية المتحصلة بمنطقة الدراسة حيث أن مثل هذا النوع من الدراسات هي فقط التي تمكننا من دراسة التتابع والاستمرارية الثقافية والبشرية والعمرانية حيث يمكن بناء الدراسات الفولكلورية والاجتماعية والبيئية على نتائجها وعلى متابعة المجتمعات الحالية في منطقة الدراسة وتاريخها القريب المعلوم من خلال دراسة خصائص المجتمعات الحالية اللغوية والفولكلورية والاجتماعية والبيئية في وضعها الحالي وفي تاريخها المعلوم إثنياً وشفاهياً وتاريخياً حيث تساعد كثيراً على خلق الدراسات المقارنة واستنباط القوانين التي يمكن استخدامها لتفسير "التغير الثقافي" في فترة ما قبل التاريخ والفترات التاريخية وعلاقتها بالفترات الإسلامية المبكرة والمعاصرة.

طبيعة المشروع:

يعد مشروع جامعة الخرطوم الذي يديره قسم الآثار مشروعا علميا جادا استعمل أسلوب الدراسات الميدانية والتحاليل المعملية للعلوم المتداخلة المختلفة لخلق نموذج علمي تطبيقي متكامل للدراسات الثقافية، والبيئية الاجتماعية، التاريخية حيث حقق العديد من النتائج المثيرة للاهتمام من خلال الدراسات التي أجراها المشروع، كما سعى المشروع لتحقيق مبدأ تداخل العلوم الثقافية والاجتماعية بالتركيز المباشر على العوامل الإنسانية والبيئية والتاريخية المحلية التي تداخلت لدفع التطور الثقافي والاجتماعي للمجتمعات السودانية. وبطبيعة الحال تؤدى دراسة هذه العوامل المحلية إلى إمكانية التعرف على خواصها لاستخدامها في برامج التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لمجتمعات الدراسة. فضلا عن المقترح الذي تم وضعه لإجراء العديد من أعمال الصيانة والترميم في المستقبل القريب وذلك محاولة منا لإعادة تركيب المواقع والمباني القديمة بمنطقة المشروع وجزيرة سواكن على وجه الخصوص والتي آلت إليها المدرسة التاريخية في سواكن بعد مجهودات إدارة جامعة الخرطوم وذلك لتكون مهيأة للسياح والدارسين والمهتمين

من مختلف مجالات العلوم الانسانية.

كما أن للمشروع جانباً تدريبياً حيث تم إلحاق طلاب السنوات المتقدمة وطلاب الدراسات العليا بجامعة الخرطوم والجامعات الأخرى لمختلف التخصصات ذات الصلة وكذلك مفتشي الآثار بالهيئة العامة للآثار والمتاحف لتأهيلهم في العمل الميداني المتداخل وفي الدراسات الإقليمية بغرض خلق كوادر سودانية مؤهلة، مع الالتزام الصارم بالنظام العلمي والعملي للمشروع.

أساليب العمل الميداني في المشروع ومناهجه:

أ. شملت دراسات المشروع: الآثار، الاثنوغرافيا، الانثروبولوجيا، البيئة. على أنه سوف يضم دراسات أخرى مستقبلاً مثل دراسة الاقتصاد المحلى وصناعة البروش والأدوات السعفية، والطب التقليدي. والذي جعلنا نركز في المرحلة الأولى من المشروع على دراسات الآثار، الاثنوغرافيا، البيئة والدراسات الاجتماعية هو الإيمان بأن معرفة العمق والمدى التاريخي والحضاري والثقافي للمنطقة وسكانها في إطار البيئة المحلية هي الخطوة الأولى لبدء أية مشاريع تنموية، سواء أكانت تلك مشاريع تنموية بشرية أو بيئية أو معرفية.

ب. بدأ العمل الآثاري في المواسم الثلاثة الأولى في العام 2015 بتسجيل كامل لكل المناطق الأثرية الموجودة في المنطقة مستخدماً نظام التسجيل القومي، مما جعل المشروع جزءًا من الخطة العامة للهيئة العامة للآثار والمتاحف لعمل خريطة السودان الآثارية. تلا ذلك المسح المنظم للمواقع الأثرية حول منطقة سواكن وبعض سواحل البحر الأحمر مما أدى لمعرفة تاريخ الموقع بصورة جيدة وكذلك موجوداته الثقافية ثم تلا ذلك تصنيف هذه المواقع إلى مجموعات متسقة وفق التصنيف القومي للمواقع الأثرية. وبعد المسح الشامل تم تحديد بعض المواقع لعمل الحفريات بها في المستقبل.

ج. ركّز المشروع على دراسة المواد الأثرية خاصة الفخار وتصنيفه في مرحلته الابتدائية حيث أولى ذلك أهمية قصوى في المرحلة الأولى من عمل المشروع حيث إنه من المعروف أن لمثل هذه الدراسات أهمية قصوى للتزويد بالهيكل الزمني الذي يمكن من خلاله دراسة العملية الثقافية وسوف يُهتدى في هذا بالدراسات السابقة. ومن الخطط المستقبلية هي دراسة المخلفات الطبيعية والبيولوجية والأحيائية من عظام الأسماك والقواقع والحيوانات الأخرى لمعرفة التغيير البيئي واستمراريته بالمنطقة. وسنجري للغرض نفسه دراسة حبوب اللقاح لمعرفة الغطاء النباتي وتغيراته عبر العصور. بجانب إجراء دراسات أنثروبولوجية واجتماعية مكثفة لمجتمع منطقة الدراسة، كذلك إجراء بعض الدراسات النفسية لبعض المجموعات العاملة في مجال التنقيب العشوائي عن الذهب وأثر ذلك على المواقع والتنمية الاجتماعية بالمنطقة. ومن خلال العمل الآثاري حاولنا الإجابة عن أسئلة كثيرة أهمها التعرف على طبيعة العمران الإنساني والسكاني لهذه المنطقة عبر القرون وما

هي العوامل التي تحدده؟. وكيفية الالتقاء الثقافي بين ثقافتين حيث تتم دراسة مجموعات البجة التي تمثل سكان الإقليم الأصليين مع نظيراتها من المجموعات الأخرى من داخل السودان إلى جانب المجموعات الأخرى من الدول المجاورة؟.

د. من الدراسات المستقبلية ذات الأهمية القصوى دراسة الممارسات الإنسانية ذات الجوانب المادية. مثلاً الزراعة وتربية الإبل والأدب الشعبي بالمنطقة. كذلك دراسة الفنون التشكيلية ومقارنتها بالفنون الحالية خاصة فن الرسم والزخرفة التي على المشربيات وغيرها. بجانب معرفة إمكانية عمل متحف شامل للتراث والآثار والثقافة للمنطقة في المستقبل- خاصة وأن المنطقة بها مقومات سياحية فريدة حيث وضعت اللبنات الأولى لهذا المشروع وتوقفت لأسباب لوجستية وضعف التمويل وخلافه.

فريق العمل العلمي والبحثي للمشروع:

تم تقسيم فريق العمل إلى التخصصات الآتية:

1/ البحث الآثاري (المسح والتنقيب)
2/ البحث البيئي ويشمل مجالات العلوم والجغرافية
3/ الصيانة والترميم والهندسة المعمارية (إدارة المصادر الثقافية)
4/ الدراسات الانثروبولوجية والاجتماعية والدراسات اللغوية

ومن المناهج البحثية المتقدمة التي طبقها المشروع وحتى يكون العمل الميداني للمشروع البوتقة التي يتم فيها تبادل المعارف لفروع العلوم المختلفة المستخدمة في الدراسة تم العمل في مواسم بحثية مشتركة ظل فيها كل أعضاء فرق مجموعات الدراسة في الميدان في وقت واحد. وتحقيقاً لضرورة الاستقلالية العلمية وعدم المركزية في التفسير التي ربما تؤدي إلى ضيق أفق الدراسة فقد تقرر أن يكون للمشروع مدير عام هو الدكتور أحمد حسين عبد الرحمن - أستاذ مشارك - قسم الآثار- كلية الآداب جامعة الخرطوم، وتم اختيار المشرف العام والمستشار العلمي والأكاديمي ومسؤول العلاقات الثقافية للمشروع: بروفيسور انتصار صغيرون، بينما كان خبير إدارة المصادر الثقافية - البروفسير علي عثمان محمد صالح، وبروفيسور أزهري مصطفى صادق – مستشار فترات ما قبل التاريخ، وخبير البيئة بروفيسور يحي فضل طاهر، ودكتور عبد الرحمن إبراهيم سعيد مسؤول العمل الحقلي (قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة الخرطوم)، ويتولى مدير ميداني لكل فرع من العلوم المستخدمة في الدراسة المهام الموكلة إليه إلى جانب ممثل دائم للهيئة العامة للآثار والمتاحف.

إلى جانب مشاركة أعضاء بالمشروع من قسم الآثار جامعة الخرطوم:

د. هويدا محمد آدم ، د. حسني طه العطا ، د. نهى عبد الحافظ ، د. محمد الفاتح حياتي ، د. محمد البدري سليمان ، و أ. هناء عبد الجبار إبراهيم.

بالإضافة إلى أساتذة من أقسام الآثار السودانية الأخرى بالجامعات السودانية وبعض طالبات الدراسات العليا بقسم الآثار وهن سارة مأمون ومريم محمد محجوب وريان محجوب اللائي صرن مساعدي تدريس في قسم الآثار الآن. وبعض طلاب الدراسات العليا بالقسم عمار عوض وفاطمة محمد عثمان. بالإضافة إلى مفتشي الآثار من مكتب البحر الأحمر ببورتسودان وسواكن وهم معز شمس الدين، وعمر الفاروق، وشنقراي أحمد، وأونور عمر، وعدد من المتدربين من خريجي الآثار منهم عز الدين حجاج وأبو بكر عيسى، فاطمة شفاء، مرسى هاشم، أنفال البدوي، آمنة منور(جامعة النيلين)، وغيرهم، كما تمت دعوة آثاريين وذوي تخصصات أخرى أجانب ومحليين حسب التخصص وحاجة المشروع لاستشاراتهم. منهم بروفيسور Anne Haur. Archaeologist. UEA – UK في موسم 2020 لدراسة آثار الساحل الشرق وميناء عقيق وبعض الأصداف البحرية (Haour & Adam. 2021). كذلك تمت دعوة بروفيسور اوهيوما Ohioma Pogoson. Ethnographer – Nigeria وبروفيسور علم سيقيد Alemseged Beldados- Archaeologists - Addis Ababa University، كما شارك في الموسم الأول الأستاذ خالد حامد يوسف – وزارة الثقافة – مدير إدارة الفنون، مصور. إلى جانب مجموعة من العاملين بجامعة الخرطوم بوظيفة سائق وهم حسن القاسم، صلاح محمد عثمان، النور أحمد الطيب، وأونور محمد حامد من أركويت.

نتائج أعمال مشروع منطقة سواكن والبحر الأحمر للدراسات الآثارية والثقافية والبيئية:

بدأ العمل بواسطة قسم الآثار جامعة الخرطوم في تنفيذ المشروع ميدانياً في أكتوبر من عام 2015م واستندت فكرة المشروع على الدراسة الآثارية الشاملة والتي تسعى لتنمية آثار الشرق من خلال الاستكشاف، المسح، التنقيب، ومن ثم الصيانة والترميم، بغرض المساعدة في استدامة التراث المادي وغير المادي واستمراريته.

مواسم العمل الميداني ونتائجها الأولية للفترة ما بين 2015 إلى 2023

امتدت منطقة الدراسة من جزيرة سواكن التي تعد أحد أهم الموانئ الإسلامية في شرق السودان وكذلك منطقة ساحل البحر الأحمر والسلسلة الجبلية به وحتى أعالي نهر النيل ومنطقة كسلا وهي مناطق

ذات أهمية (تاريخية وثقافية خاصة)، فالموقع الساحلي المطل على البحر الأحمر كان بمثابة بوابة طبيعية للسودان ربما منذ فترات التاريخ القديم ولا يزال. فقد تم العثور على العديد من المواقع الأثرية المتنوعة التي تعود لمختلف الفترات خاصة مناطق ساحل البحر الأحمر الجنوبي.

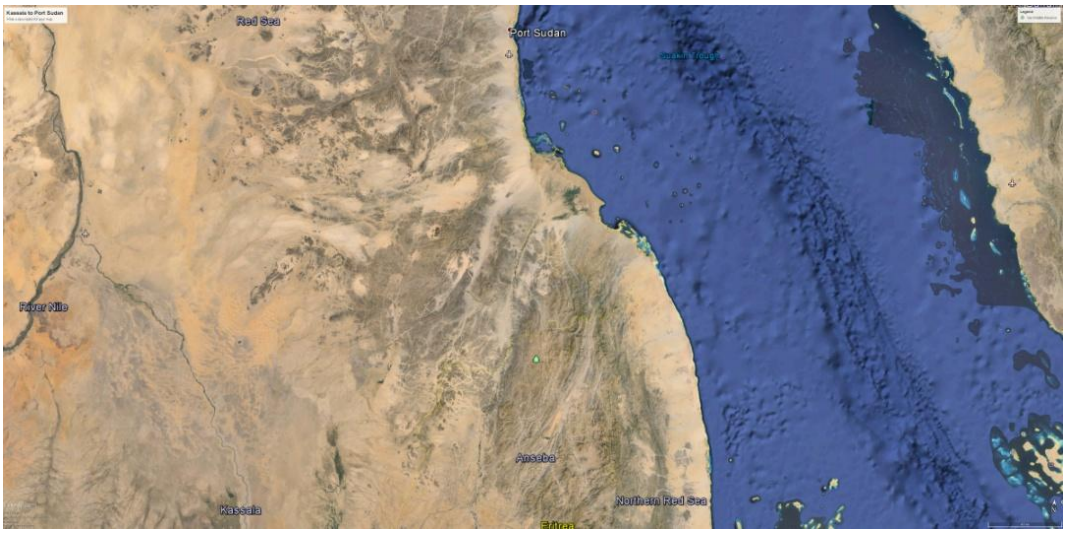

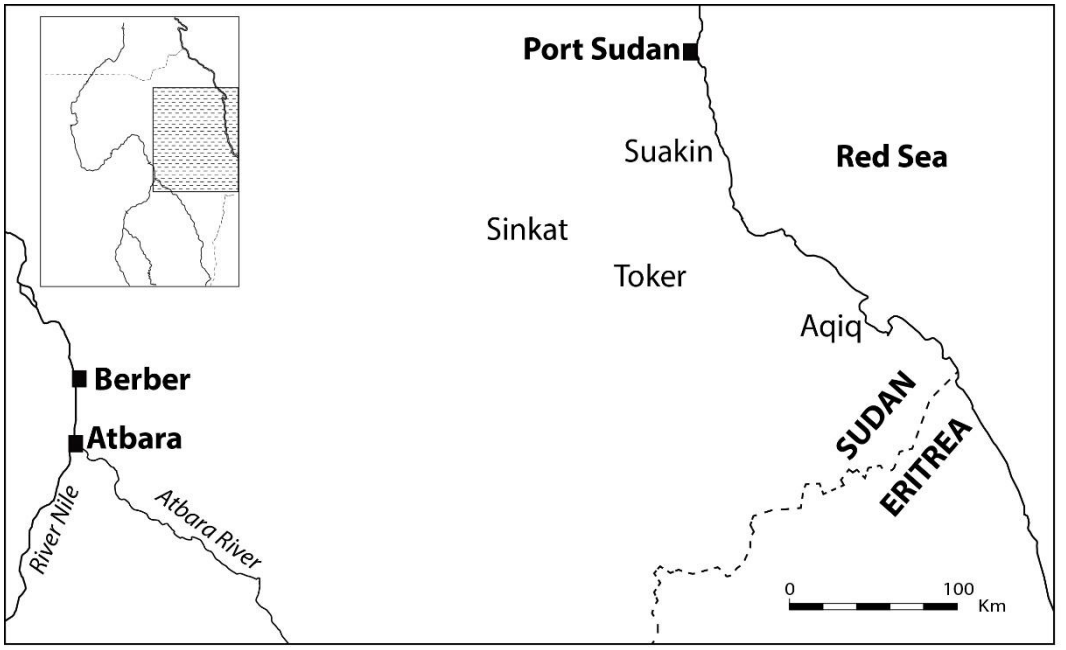

خريطة رقم (2). تبين منطقة البحث ما بين بورتسودان وكسلا ومنطقة عقيق

وقد تم دراسة بعض هذه المواقع الأثرية بواسطة الهيئة العامة للآثار والمتاحف وقسم الآثار جامعة الخرطوم، في(المسجد الشافعي)، (مبنى المحافظة وبيت خورشيد) وبعض الدراسات الاستكشافية التي تمت في مناطق بعيدة إلى الجنوب من طوكر وحول منطقة عقيق(قسم الآثار- جامعة الخرطوم ومعهد ماكدونالد للآثار بجامعة كمبردج).

وكان الهدف من المشروع دراسة التتابع والاستمرارية الثقافية البشرية والعمرانية لمنطقة الدراسة عبر الحقب التاريخية المختلفة، ودراسة التداخل أو التكامل أو الانصهار الثقافي والبشري مع الثقافات الوافدة لمنطقة الدراسة عبر الحقب التاريخية المختلفة، ومعرفة التركيب الثقافي لمناطق البحر الأحمر التي لم تتم دراستها من قبل وذلك من خلال فريق عمل متكامل يشمل علماء ومتخصصين في المجالات كافة ذات الصلة.

أظهرت المسوحات الأثرية تحت الماء في جزيرة سواكن دلائل الاحتلال الذي يعود تاريخه إلى القرن الحادي عشر الميلادي، حيث تم اكتشاف عدد من المواقع الأثرية في ظل مشروع البحر الأحمر الأثري. ففي الموسم الأول سبتمبر 2015 يناير 2016 أجري مسح في المنطقة الواقعة بين سنكات وأركويت وخور نبت، وتم تسجيل العديد من المواقع الأثرية مثل المقابر والمباني التي تعود إلى الحقبة الاستعمارية، بالإضافة إلى اكتشاف حوالي 83 موقعاً أثرياً وترجع المواقع الأثرية المكتشفة في المنطقة إلى فترات مختلفة شملت عصور ما قبل التاريخ إلى العصور الحديثة مما يشير إلى غنى المنطقة بالمخلفات الأثرية والثقافية.

ومن أهم المواقع التي تم الكشف عنها في منطقة أركويت مقابر الأكرتيل Acrtail وهي نوع من المقابر المعروفة في شرق السودان، بالإضافة إلى ضريح قائد جيوش المهدي بشرق السودان الأمير عثمان دقنة، بالإضافة إلى مقابر إسلامية تعرف باسم مقابر طريق الحج إضافةً إلى تسجيل عدد من القباب.

امتد المسح الأثري ليسجل عددا من المباني التاريخية مثل قصر النميري وقصر علي الميرغني والإسطبل الذي يتكون من عدد من الوحدات ومسبح كبير مع عدد من الحمامات وفقاً للأعمال الأثرية التي أجريت في المنطقة وما تم من اكتشافات يوضح ثراء المنطقة بالآثار وتنوع مواقعها.

وفي موسمين آخر للمشروع نفذا في فبراير 2020م وفبراير 2023م شاركت بعثة بريطانية من جامعة انجليا الشرقية Anne Haur. UEA. UK، ضمن أعضاء الفريق. غطى العمل الأثري في هذا الموسم العديد من المواقع شمال بورتسودان وجنوبها.

ومن أهم نتائجه اكتشاف عدد من المواقع الأثرية من مدافن وبقايا أساسات لمبنى في منطقة عدوبنا

وجزيرة ابن العباس، والمدافن المبنية من الحجارة والشعب المرجانية التي عثر عليها في موقع أم مكبان وأركويت، وهذا بدوره ساعد في الوصول إلى نتائج أبرزها أن أغلب المناطق شهدت استيطانا مبكرا يرجع لفترات ما قبل التاريخ ومواقع أخرى ربما تعود إلى ما قبل الإسلام بفترة ليست بالقصيرة.

الخلاصة والنتائج:

تحليل أولي لنتائج العمل:

جاءت نتائج العمل الميداني خلال هذه المرحلة مبشرة ومثيرة للاهتمام حيث إن المواقع المكتشفة توضح غنى المنطقة بالمواقع الأثرية خاصة تلك التي تعود إلى فترات ما قبل التاريخ والفترة الكلاسيكية والفترة الإسلامية وفترات أخرى غير محددة تحتاج إلى مزيد من الدراسات، بالإضافة إلى مواقع فترة الاستعمار البريطاني والتي توجد بكثافة في عدة أماكن من هذه المنطقة مما يبين أهميتها الاستراتيجية خلال تلك الحقبة، فضلا عن المواقع الإسلامية التي تشمل المدافن والخلاوى وغيرها. كما تم التعرف على الجوانب الطبوغرافية والبيئية للمنطقة لربط العمل الآثاري بالبيئة المحيطة وتنفيذ ذلك في جوانب فهم الأبعاد البيئية للمستوطن الآثاري والتأثيرات الآنية واللاحقة عليه. ويبدو أن التركيبات المعقدة وكذلك التغيرات المناخية قد أسهمت في صياغة التاريخ البيئي للمنطقة.

هناك تنوع ثقافي واضح وكبير ما بين حضارات السودان الموجودة على النيل ومنطقة البحر الأحمر، كذلك نجد تنوعا كبيرا للآثار الإسلامية بالإقليم خاصة الفترة العثمانية التي سيطرت على الإقليم لفترة من الزمن.

إن إقليم الشرق لعب دوراً مهماً فيما اتسمت به الحضارات القديمة سواء أكانت هذه الحضارات تنتمي إلى وادي النيل أو إفريقيا أو إلى المرتفعات الإثيوبية والإرتيرية أو ثقافات الشرق الأدنى. وقد أكدت الدراسة على أهمية المنطقة التي بينت وجود تواصل بين مناطق شرق السودان وتلك الحضارات التي قامت على النيل، كما أن إقليم الشرق شهد تداخلا حضاريا اتسم بالتنوع الثقافي والعرقي، وقد وجدت أشكال وأدوات ثقافية تظهر تشابهاً كبيراً مع تلك التي وجدت في المقابر المصرية وهذا دليل واضح على التداخل الثقافي. إلى جانب تأكيد الدور الإيجابي والمهم الذي لعبه إقليم الشرق في التواصل الحضاري والثقافي ما بين ثقافات الشرق وحضاراته، وإفريقيا والمرتفعات الإثيوبية والإريترية.

وضح من خلال هذه الدراسة أن التغير البيئي والذي تتبعه بالضرورة تحولات ثقافية وحضارية هو تغير وإن دلائل الاستيطان في الإقليم لم تكن ظاهرة للعيان بشكل واضح وربما يرجع إلى أن إنسان الإقليم

استخدم في بناء مسكنه مواد بسيطة الصنع والتي ربما تكون قد تحللت بسبب التغيرات البيئية.

لقد كان تركيز المشروع في المرحلة الأولى على دراسة الثقافة المادية وكيف تنتجها السياقات التي تكّونها مجموعات شرق السودان الثقافية ودراسة كل أوجه النشاط في الثقافة المادية في شرق السودان. وقد وضح من خلال الدراسة الأهمية الكبيرة لفنون العمارة القديمة في الشرق والتي تعكس البعد الحضاري لهذه المنطقة، كما تعبر عن قدرة الإنسان في تطويع وتشكيل مواد المتاحة في البيئة المحيطة بجانب استخدام المواد المستوردة والتي تتواءم مع بيئته المحلية.

وقد تمت مراعاة تصميم المباني السكنية والمراكز الخدمية في المنطقة حتى تتواءم مع الظروف البيئية. كما أوضحت الدراسة دور المؤشرات الأثرية والمشهد الثقافي التقليدي لمزيد من التعرف على ثقافات مناطق البحر الأحمر.

وعليه يصبح من الأهمية بمكان ضرورة إكمال أعمال المسح والتنقيب ودراسة المجتمعات المحلية بكل تفاصيل حياتها ومخلفاتها المادية إلى جانب الحفاظ على كل أدوات ومحتويات التراث المادي الآثاري والتقليدي كذلك الإسراع لوقف تدهور التراث العمراني والمشهد الطبيعي (Landscape) ووضع منهج متكامل لدراسته وحفظه بصورة مثلى.

ولكي يتم تحقيق نتائج أفضل في المستقبل نأمل مراعاة الآتي:

1/ ضرورة إيجاد معسكرات دائمة في بعض مدن الإقليم لتسهيل مهمة فريق العمل.
2/ التركيز على مراجعة الميزانية وزيادتها بسبب غلاء أسعار المعيشة وارتفاع تكاليف الترحيل وإيجار العربات إلى جانب ارتفاع أسعار المواد البترولية وانعدامها بالمنطقة.
3/ يجب ضرورة توفير بعض الأجهزة ذات الأهمية الكبيرة للعمل الميداني مثل جهاز التوتال استيشن Total Station وزيادة عدد كبير من جهاز تحديد الأماكن والارتفاعات GPS وغيرها والتي لا يمكن شراؤها من الميزانية المخصصة لارتفاع تكلفتها مع التأكيد على وجودها في المرحلة القادمة من عمل المشروع.
4/ من خلال الدراسة اوصى الباحثون بضرورة تنشيط العمل السياحي بالمنطقة لتحقيق التنمية المستدامة وتعميق الوعي الآثاري لإنسان الشرق وذلك بعمل معارض متحركة وندوات لتوعية سكان الإقليم تشتمل على التعريف بالمواقع وأهميتها، ومن ثم المساهمة في الحد من الأنشطة البشرية التي قد تؤثر على المواقع، والمهددات الطبيعية التي أثرت بشكل كبير على معظم المواقع، وبالتالي ولتحقيق ذلك يتطلب الأمر تسوير بعض المواقع الأثرية ووضع لافتات تبيّن أهمية المواقع

الأثرية في ظل وجود حملات التنقيب العشوائي عن الذهب والتي تمثل خطرا كبيرا على الآثار بجانب وجود نشاط سياحي مقدر بمنطقة أركويت إلا أن الزوار يجهلون أهمية المواقع الأثرية بسبب عدم توفر المعلومة. كذلك لا بد لنا من الحفظ والصيانة والحماية والترميم وعرض كل المنجزات المادية والثقافية بهذا الإقليم الثقافي ذي السمات الثقافية المتفردة.

شكر وتقدير للمساهمين في المشروع:

يسر مدير المشروع أن يتقدم بجزيل الشكر والتقدير لوزارة التعليم العالي السودانية لمجهودهم الكبير في توفير ميزانية العمل الميداني للموسم الأول مما ساهم في إنجاح الموسم. والشكر لمدير الجامعة الأسبق بروفيسور أحمد سليمان لتعاونه الكبير ودعمه للمشروع، والشكر كذلك للهيئة العامة للآثار والمتاحف بمنح رخصة العمل بالمنطقة وشكر خاص لمكتب الآثار بالبحر الأحمر. كما أتقدم بالشكر الجزيل لعميد كلية السياحة جامعة البحر الأحمر دكتور محمد الكوارتي لتعاونه الكبير وتسهيل مهمة فريق العمل بالاستضافة باستراحة هيئة الموانئ البحرية بمدينة بورتسودان للموسم الأول وكذلك حسن الضيافة والمشاركة في بعض الجولات الميدانية للبعثة وقد كان لذلك بالغ الأثر في إنجاح الموسم. ويمتد شكرنا لمركز دراسات وأبحاث البجة لزيارتهم الكريمة لفريق العمل خلال فترة العمل الميداني. والشكر موصول لكل أهل منطقة عقيق وعلى وجه الخصوص عوض أبوبكر محمد قدف، والأستاذ أزهري والأستاذ محمد سعيد والمهندس عبد الرحمن. والشكر لكل أعضاء قسم الآثار جامعة الخرطوم وطلاب الدراسات العليا والعاملين بالقسم والزملاء الآثاريين من أقسام الآثار الأخرى الذين ساهموا بجهدهم ووقتهم في الأعمال الميدانية. نرجو أن يتم التعاون بيننا وجميع هذه المكونات لإنجاز هذا المشروع العلمي والبحثي بهذه المنطقة المهمة في تاريخ السودان الثقافي والحضاري.

والحمد والشكر من قبل ومن بعد لله رب العالمين على نجاح هذه الأعمال الميدانية

د. أحمد حسين عبد الرحمن. مدير المشروع

المصادروالمراجع

المراجع العربية:

- تقرير الهيئة العامة للآثار والمتاحف رقم2، **المسح الآثاري لمناطق شرق السودان**، للعام 2010، تقرير غير منشور. (د.ت).
- حسن، يوسف فضل، الوجود العربي في بلاد البجا، صفحة من سجل التمازج العرقي والثقافي في السودان، **مجلة جامعة البحر الأحمر**، العدد الأول،(2011م).
- خوجلي، مصطفى محمد، استراتيجيات وجهود معالجة تأثير فيضانات نهر القاش على مدينة كسلا، **مجلة الدراسات السودانية**، العدد 16، (2010م).
- داجنت، روجيه جوانت، **تاريخ البحر الأحمر**، ترجمة حسن نصر الدين، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، (2013م).
- سبي، عثمان صالح، **تاريخ اريتريا**، المكتبة الإريترية، (1974م).
- سبي، عثمان صالح، **صراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ**، دار الفجر الجديد، (د.ت).
- سيد أحمد، عباس، على حافة المدينة: ظهور واضمحلال القرى الزراعية علي سهل البطانة (شرق السودان)، **أدوماتو**، الطبعة الأولى، (2008م).
- الشامي، صلاح الدين، **السودان دراسة جغرافية**، منشأة المعارف، الإسكندرية، (1973م).
- ضرار، محمد سليمان صالح، **تاريخ السودان الحديث**، منشورات الحياة، بيروت، (1965م).
- الماحي، أبو عبيدة، **نماذج لبعض عادات وتقاليد البجا**، رسالة ماجستير في الآثار، غير منشورة، جامعة دنقلا، (2010م).
- مسعد، مصطفى محمد، البجة والعرب في العصور الوسطى، **مجلة كلية الآداب** مجلد 21، العدد الثاني، جامعة القاهرة، مطبعة الخرطوم، (1959م).
- مسعد، مصطفى محمد، المكتبة السودانية، **مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى**، مطبوعات جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، (1972م).
- النور، أسامة عبد الرحمن، شرق السودان، دلتا القاش في ما قبل التاريخ، *أركماني مجلة الآثار والانثروبولوجيا السودانية*، العدد الخامس، (2004م).

المراجع الأجنبية:

- Adam, Ahamed Hussein, (2018*). The Archaeology and Heritage of the Sudanese Red Sea: Importance, Findings, and Challenges* –University of Khartoum

- Crowfoot, J, (1928). Some Potsherds from Kassala. *Journal of Egyptian Archaeology* 14.
- El. Anwar, S, (1995). 1994-95 Report on the Archaeological Survey and Test excavations in the southeastern Part of the Red Sea Hills, *Archéologie du Nil Moyen.* pp 163 -193.
- Fattovich, R, (1987). Gash Delta Archaeological Project: Field Season. *Nyame Akuma* 29.
- Fattovich, R, (1989). The Gash Delta between 1000 BC and AD 1000', in: S. Donadoni and S. Wenig (eds), *Studia Meroitica*, Berlin, Academie Verlag
- FLEMING, S, (1920). Tokar - *Sudan Notes and Records*, Vol3.No1
- Greenlaw, J, (1995). *The Coral Buildings of Suakin: Islamic Architecture, Planning, Design and Domestic Arrangements in a Red Sea Port*. London: Kegan Paul.
- Haour, A, and Ahmed Adam, (2021). Shells and Pottery– a preliminary survey of medieval sites along the red Sea cost of Sudan. *Nyame Akuma* 95: 31- 41.
- Hinkel, F, (1992). *The Archaeological Map of the Sudan. VI. The Area of the Red Sea Coast and Northern Ethiopian Frontier*. Berlin: Akademie Verlag.
- Manzo, Andrea, (2017). *Eastern Sudan in its setting*, Archaeopress publishing
- O'Connor, (1984) *Kerma and Egypt – The significance of monumental building Kerma I, II and XI* ', JARCE 21
- Sadr, K, (1988). Settlement Patterns and Land Use in the Late Prehistoric Southern Atbai; East Central Sudan. *Journal of Field Archaeology* 15.
- Zahran, M, A, (2010). Climate-Vegetation, Afro-Asian Mediterranean and Red Sea, Coastal Land, *Planet and Vegtation*,4.